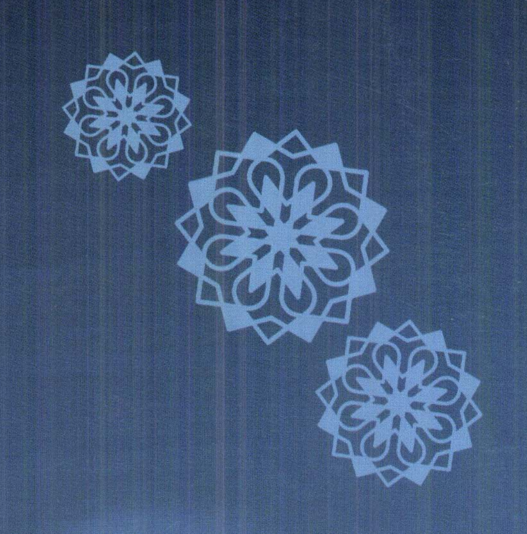


# أين اختفى؟



الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي












الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي






## أين اختفى؟

سأل نفسه وهو يكاد يصرخ من الغيظ.. كلما كتب شيئا وشُغل عنه بشيء وتركه على الطاولة لم يجده حين يعود إليه مجدداً.. تكرر الأمر معه أكثر من مرة؛ خصوصا حين يقترب موعد التسليم.

في المرة الأخيرة طلب منه رئيس التحرير أن يكتب في العدد القادم من المجلة حول تجربته مع الانترنت بصفته مستخدما جديداً لهذه التقنية بعدما أفنى شبابه وجزءاً كبيراً من عمره في اقتناء الكتب وقراءتها..

تذكر الآن أنه كتب شيئا طريفاً لم يسبق له مثيل.. كتب عن استفادته من «الانترنت» في الاستماع إلى حلقات إذاعية جميلة حول السيرة النبوية بصفة شبه يومية لفترة تقارب ستة أشهر.. وربما تزيد.

شعر وقتها أن ليس هناك شيء أحب إليه بعد القرآن الكريم والحديث الشريف من السيرة النبوية.. شعر كأنه يستعيد زمنا مضى.. كأنه عاش فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يوثّقون عرى الإسلام عروة عروة، ويشيّدون بناءه لبنة لبنة، ويؤسسون لجوانب حضارته، ويقيمون أركان دولته ركناً ركناً.

أحسّ بشعور النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في مواقفهم مع كفار قريش ومع المنافقين واليهود خلال مراحل الدعوة التي مروا بها في مكة والمدينة.

كان يفرح مع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم يستبشرون بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويحزن لحزن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم يتلقون مصيبة عام الحزن.

أخذ يسترجع اللمسة النبوية الحانية، ويتأمل في أشد ما آلم النبي صلى الله عليه وسلم وأحزنه حين غادر عمه أبو طالب الدنيا ولم ينطق بكلمة التوحيد.. وهو يسترجع سابقة فضل وإحسان في نصرة الدين وحماية النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين. ورغم شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية عمّه وإدخاله في الإسلام وإنقاذ روحه من عذاب النار إلا أنّ الرفقة السيئة المحيطة بأبي طالب أبت عليه إلا الغواية في اللحظات الأخيرة قبل أن يفارق الدنيا. ومازال به النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى أن ينطق بكلمة التوحيد، ومازالوا يصدّونه ويذكون فيه نار الحمية الجاهلية حتى كان آخر ما قاله قبل أن يموت:

- هو على ملة عبد المطلب!

وما أشقها من لحظة!! تُدرك بعض ملامحها يوم أن تتخيل هذه الصورة الإنسانية المعبرة.. النبي صلى الله عليه وسلم يلحّ على عمّه في النطق بكلمة التوحيد مرة بعد مرة شفقة عليه من عذاب النار وخوفاً من أن يفوته خير الإسلام الذي وقف حياته لأجل حمايته ونصرته؛ حتى إذا خذله عمّه وأصرّ على ما هو عليه من الشرك لم يملك صلى الله عليه وسلم نفسه من شدّة الحب والتقدير أن هتف به وهو مسجّى.. قائلا:

- لأستغفرنّ لك ما لم أنهَ عنك!

وهنا تتنزل الآية الكريمة من فوق سبع سماوات، تخبره صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدر على هداية من يحب دخوله في الإسلام إلا أن يشاء الله، فهو الذي يوفق من شاء له، وهو أعلم بحال عباده. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

هنا توقف عن مواصلة القراءة في أحداث السيرة العطرة التي أعقبت هذا الحدث الجلل وأخذ يحدّث نفسه:

إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرص على هداية عمّه في حياته فلم يتيسر له ذلك، وأخبره ربّه سبحانه أنه لا يقدر على هداية من أحبّ. وإذا كان من شدّة حبّه صلى الله عليه وسلم لعمّه همّ أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك.. فعلى ماذا يدلّ ذلك؟

يا لها من حقيقة يغفل عنها الكثير!! إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر من البشر.. لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يملك ذلك لغيره.. فهل يُعقل بعد هذا أن يتعلّق به أحد من أمّته.. يطلب منه جلب النفع ودفع الضر؟؟! ثمّ إذا كان هذا مستحيلاً في حقّه صلى الله عليه وسلم فهل يُعقل أن يكون ذلك في حقّ من هو دونه من الأولياء والصالحين في أمّته؟؟!

يا له من درس عظيم ورد بليغ على عُبّاد القبور الذين يعتقدون النفع والضر في الأنبياء والصالحين.

شعر بكل ذلك، وجاشت نفسه بكل هذه المعاني السامية وهو يعيش مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في زمن النبوة من خلال حلقات السيرة المبثوثة في «الانترنت».. وأخذ يتفكّر في الوقت نفسه جماهير غفيرة من الشباب الغارقين في «الانترنت» بالساعات الطوال، منهمكين فيما لا طائل من ورائه وهم يتصفحون مواقع ماكرة، ويتنقلون بين مواقع لاهية عابثة، والعياذ بالله.. مع أنّ هذه الشبكة سلاح ذو حدين؛ فهي نعمة لمن عرف كيف يستخدمها ويستفيد منها، ونقمة على من وقع فيها.

لم يوقفه عن تأملاته سوى طرق الباب.

أتسمح لي بالدخول؟

تفضّل.

أبي، أراك مشغول البال؟

نعم.. لا زلت أتساءل منذ عُدت عن هذا المقال: أين تراه اختفى؟ أين؟

ابتسم ابنه وهو يحمل في يده نسخة من العدد الجديد للمجلة، قبل أن يضعها أمام أبيه على المكتب..

انظر يا أبي.. نشروا مقالة لك ووضعوا عنوانها على غلاف المجلة!

بادر بالنظر إلى غلاف المجلة؛ فإذا هو مكتوب عليه بخط بارز: «تجربتي مع الانترنت!».

وهنا انفجر ضاحكا وسط ذهول ابنه وحيرته!!

لقد تذكّر للتوّ أنّه دفع بالمقال فور كتابته إلى بريد المجلة قبل أن يأخذ منه نسخة أخرى.. خوفاً أن يضيع منه فلا يجده.. كما يحدث معه في كل مرة!